مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 365 - 376
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الرّاهن في بيئتَيْه الفكرية والفلسفية
النّخبة العربية والرّاهن الاجتماعي والسياسي
تساؤلات في كتاب: أوْهام النّخبة - لعلي حرب -

The current in his intellectual and philosophical environment The Arab elite and the current social and political situation Questions in the book: Elite Illusions - Maybe a war-

طالب دكتوراه الجودي بوفروك
Eldjoudi Bouferrouk
جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية
مخبر التأويل وتحليل الخطاب، الجزائر
Eldjoudi.bouferrouk@univ-bejaia.dz

تاريخ الإرسال: 2023/05/10 تاريخ القبول: 2024/06/27

الملخص:
تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على حضور 'الرّاهن' كموضوع شكّل بؤرةً في الجهود الفكرية والفلسفية الغربية والعربية، على السّواء. وذلك من حيث دلالاته وقضاياه المتنوّعة والمتحوّلة باستمرار، ممّا يفرض على الخطاب الفلسفي المعاصر تجديدَ معارفَه، وابتكار آليات فكرية جديدة لمواكبة تلك الأحداث اليوميّة المتغيّرة. وكغيره من المصطلحات، فقد استعصى على الضبط المصطلحي، وكذا التّحديد المفهومي. وهنا يمكننا أن نتساءلَ: كيف تعامل الفلاسفة المعاصرون مع موضوع اليومي وقضاياه؟، هل تمكّنت جهودهم من استيعابه دلاليًا ومصطلحيًا؟ ما أهمّ المصطلحات التي عبّروا بها عن الرّاهن؟، وما مدى إيجابية تعامل المثقّف العربي المعاصر مع موضوع 'الرّاهن'؟ أم أنّه وقع في مَزالِقَ حالت دون التّعامل النّاجع مع واقعه؟ فِيمَ تمثّلت؟. مَنْ مِنْ المفكّرين العرب المعاصرين الذين وجّهوا سهام نقدهم إلى المثقّف العربي المعاصر؟ ما طبيعة النّقد الذي وجّهه المفكّر النّاقد **'علي حرب'** إلى مثقّفي عصره؟ إلَامَ أرجعَ فشلَ المثقّف العربي في تفاعله مع قضايا الرّاهن المختلفة؟ أَإلى تقديس المقولات والنظريات القديمة، أم إلى عجزه عن ابتكار مفاهيمَ جديدة، وافتقاده إلى آليات تفكير ذات فاعلية؟ وللإجابة عن هذه التّساؤلات وغيرها، آثرنا اعتماد مقاربة وصفية تحليلية، من خلال كتاب 'أوهام النّخبة' للمفكّر **'علي حرب'**.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الفلسفي المعاصر؛ الرّاهن؛ الضّبط المصطلحي؛ تقديس المقولات القديمة؛ آليات التفكير الجديدة؛ المثقف العربي المعاصر؛ التّنوير.

Abstract:
This research paper seeks to identify the presence of the 'present' as a topic that has formed a focus in both Western and Arab intellectual and philosophical efforts. This is in terms of its various and constantly changing connotations and issues, which requires the contemporary philosophical discourse to renew its knowledge and invent new intellectual mechanisms to keep pace with these changing daily events.

Like otherterms, it has eluded terminological control, as well as conceptual definition Here we can ask: How did contemporary philosophers deal with the daily topic and its issues? Were their efforts able to comprehend it semantically and terminologically? What are the most important terms with which they expressed the present? How positive is the contemporary Arab intellectual's dealing with the issue of the 'current'? Or has he fallen into pitfalls that prevented him from effectively dealing with his reality? Who among the contemporary Arab thinkers directed their arrows of criticism at the contemporary Arab intellectual? What is the nature of the criticism directed by the critical thinker 'Ali Harb' towards the intellectuals of his time? To what did he attribute the failure of the Arab intellectual in his interaction with the various current issues?, To sanctifying old sayings and theories, or to his inability to innovate new concepts, and his lack of effective thinking mechanisms? In order to answer these and other questions, we preferred to adopt a descriptive and analytical approach, through the book "Delusions of the Elite" by the thinker "Ali Harb".

Key words: Contemporary philosophical discourse; current; terminology; reverence for old sayings; new mechanisms of thinking; contemporary Arab intellectual; enlightenment.

مقدّمة:

يفرض 'الرّاهن' نفسه موضوعًا مركزيًا في الأوساط الفكرية والفلسفية تفكيرًا واهتمامًا. حيث غدَا أحد توجّهات الفلسفة المعاصرة. هذا التوجّه الذي ارتبط بالحياة اليوميّة في صورتَيْها الفردية والجماعية، وبقضاياها وتساؤلاتها الجديدة المتجددة. وأمام هذا الواقع المتسائل باستمرار، وجب على الخطاب الفلسفي تجديد معارفه ومفاهيمه وآلياته، من خلال مواكبة التطوّر العلمي والتّكنولوجي، حتى يجيب عن تلك التساؤلات.

وهنا يمكننا أن نتساءل: ماذا نقصد باليومي؟ ما طبيعة العلاقة التي جمعت الفلسفة باليومي؟ كيف تعامل الفلاسفة والمفكرون المعاصرون مع هذا اليومي؟ هل تمكّنوا من فهمه واستيعابه، ومن ثمّة التعامل معه بنوع من الشّمولية والعُمْق، أم أنّهم فشلوا في الإجابة عن تساؤلاته وقضاياه ذات الأبعاد المختلفة؟ مَن مِن المفكّرين الذين أحسنُوا التفاوض مع قضايا الرّاهن؟ إلامَ يحتاج المثقف عمومًا، والعربي تحديدًا عمومًا حتى ينجح في مراودة القضايا المتنوّعة لواقعه الدّينامي والمتسائل باستمرار؟

كغيره من المصطلحات، يستعصي لفظ 'اليومي' على الضبط المفهومي والمعنى الواضح، فتعدّدت مفاهيمه نتيجة لذلك. وعمومًا ارتبط 'اليومي' بمعاني: الاجترار والتّكرار، والرّتابة، والانغلاق والكسل الفكري، والرضا بالجاهز والتّسليم به، فهو الفكر السّائد، الذي يسلّم بكلّ شيءٍ دون تفكير أو إعمال للعقل.

فاليومي إذن هو هذه الحياة اليومية الشّاملة، وبكلّ مجالاتها السياسية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية، والمتجليّة في لباسنا وأكلنا، وأقوالنا وأفعالنا ومواقفنا المختلفة، وطقوسنا، وعاداتنا وتقاليدنا، وإشهارنا واقتصادنا ورياضتنا، وبالمختصر، هذا المألوف والمعتاد من ممارسات متكرّرة، ومتوقّعة الحدوث. وبذلك، فنحن خاضعون لسلطة 'الواقع اليومي' على ثقله ورتابته. فهو هذا الوجود الذي نخضع له.

وهنا نتساءل مرة أخرى: هل الانصياع لهذا 'الرّاهن' قَدَرًا محتومًا، لا سبيلَ إلى تجاوُزِه؟، أم أنّ المشكلة في قابليّتنا للاستسلام، وغياب الفاعلية لدينا؟ وحول هذه المسألة اختلف المفكّرون والفلاسفة، إذ منهم من أقرَّ بالانقياد إلى قانون 'الأحداث اليومية'، حيث تقبّلُها ومعايشتها. ومن هؤلاء الفيلسوف الألماني: **'مارتن هايدغر'** الذي يقول: "اليومي يرتقي من مجرّد تجربة مكرّرة ومبتذلة إلى نمط من أنماط وجودنا الإنساني"[1].

ويشاطره الموقف المفكر العربي **'جودة السحار'** في كتابه **'سجناء اليوم'** إذ يقول: "اليومي هو الرّوتين المكرّر والرّتابة والقلق"[2]. ففهمهما لليومي يستند إلى قناعة الخضوع والاستسلام لإكراهاته، حيث غياب التفكير والمحاولة أمام منطق الجمود الفكري والانصياع والاستلاب.

وقد جاراهما في هذا الفهم السّلبي لليومي الفيلسوف **'فرانيي'**، إذ حصره في هذا المجموع المختلط والمبتذل الذي نسمّيه الحياة اليومية، والذي نراه دون أن نبصره، ويتعارض مع تفكيرنا الذّاتي.

إذن، تلتقي مفاهيم هذا التوجّه عند تعريف سلبي لليومي، يشي بتبعية الإنسان، وانغلاقه فِكْرًا وتفكيرًا؛ فلا يفكّر في قضايا حياته ومُشْكِلاتها. وإنّما يتقبّلها كقدر محتومٍ. فيصبح حينها عبْدا للأفكار، بل، عابدًا لها. وهنا تطرح أزمة المفكّر المعاصر في العُمْق.

وفي انطلاق بعض المفكّرين في تعريفهم للرّاهن من نتائجه السّلبية على الإنسان رَفْضٌ له، ولإكراهاته التي يمارسها على الفرد، والتي تُعيق تفكيره واجتهاده، ومن ثمة فاعليّته في الحياة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، كمثقف إيجابي. ومن هؤلاء المفكّرين **"كارل ياسبرس"**.

وأمام تسلّط اليومي على الإنسان المعاصر ممّا أحال حياته إلى مأساة حقيقية، من جهة، والرّغبة في التخلّص من قيوده، وتحرير فكره، وَجَدَ في الفلسفة ملاذَه ومُراده. حيث البُعدُ عن الجاهز والمُسبق من حلول وأحكام. وتحدّي الانتقال باليومي من السّلبية إلى الإيجابية. وهنا، نتساءل مرّة أخرى عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة واليومي. فهل حرّرت الفلسفة المعاصرة المثقّف المعاصر من سِجْن اليومي وضغوطه؟، كيف تمّ له ذلك؟، هل تمكّن في ضوئها من تجديد مفاهيمه وتصوّراته؟ وهل مكّنه تحيينها من أن ينجح في التّفاوض مع قضايا راهنه ذات الأبعاد المختلفة؟

1. الفلسفة واليومي، من التّعالي عليه إلى التّفكير فيه:

يحتّم التعامل المباشر والتفصيلي والدقيق مع اليومي، من طرف وسائل الإعلام والاتّصال العادية والرّقمية تغيير نظرة الفلسفة إلى الرّاهن؛ حيث الاهتمام بتفاصيل أحداثه كلّها تفكيرًا وتساؤلًا، وبحثًا عن حلول لما يطرحه من قضايا وإشكاليات، خاصّة وأنّ"الاهتمام باليومي أصبح شديدًا حتّى أنّ المبدعين في كلّ المجالات كالفنّانين التّشكيليين مثلًا، والسّينمائيين والمسرحيّين وغيرهم، أصبحوا يُسجّلون الأحداث اليومية في رسمهم، أو صورهم الفوتوغرافيّة أو نحتهم أو أفلامهم أو رواياتهم، ويعرضون الأشياء العادية التي نتناولها في عملنا وفي حياتنا وكأنّهم يجبروننا على النّظر إلى تلك الأشياء التي نراها، ولكنّنا لا نُمعن فيها النّظر"[3].

وهذا حال الفلاسفة والمفكّرين قبلًا، حيث لا يُعيرون تلك الأحداث اهتمامهم؛ فلا تساؤل، ولا تفكير في حلول لإشكالاتها وأحداثها طبعًا، فاليومي هامش لا مركز عندهم.

يطرح عدم اهتمام الفلاسفة والمفكّرين بالرّاهن وتفاصيله ماضيًا قضية منزلة الفلسفة، وتحدّي إقامة علاقة إيجابية بالحياة اليوميّة على السّواء؛ حيث تصير الأحداث اليوميّة غايةَ اهتمامها، تساؤلًا وبحثًا عن الحلول. وهنا نتساءل مرة أخرى: كيف السّبيل إلى تحقيق تحدّي الفاعلية في الرّاهن، ومواجهة وسائل الإعلام التي تتفنّن في نقل تفاصيل الرّاهن بصورة مباشرة ومحيّنة؟ وهل يُمْكنها بلوغ ذلك دون الوقوع في شراك السّطحية والابتذال؟ ومن ثمة، فما طبيعة هذا اليومي الذي يجب على الفلسفة معاملته، تفكيرًا وإنتاجًا؟

يُقرّ الكثير من الفلاسفة بصعوبة تحقيق الفلسفة لتحدّي التحوّل من النّظرة السّطحية والضيّقة في اليومي إلى النّظرة العميقة والواسعة في الأحداث اليوميّة للإنسان الكَوني، وهذا لمّا يصبح الرّاهن

موضوع اهتمام فلسفي حقيقةً. وتُعْزَى صعوبة ذلك في نظر **'موريس بلانشو'** -على الأقل-، من خلال كتابه **'القول واليومي'** إلى ما يتطلّبه هذا من ثورة جذرية في السؤال الفلسفي المعاصر؛ إذ عليْه تجديدُ طريقة التّفكير موضوعًا وغايةً، فيتعامل مع اليومي من زواياه كلّها (سياسية، اجتماعية، أخلاقية، ثقافية معرفية،...). هذا يستدعي التسلّح بمفاهيمَ وتصوّرات فكرية جديدة، يُنتجها التّفكير الفلسفي المعاصر نفسه، الذي عليه تحديث وتنويع طرق التّفكير، وآلياته في سبيل هذا المسعى.

إنّ التّفكير الفلسفي السّائل لَهُوَ المنْطَلَق الأصلي والطبيعي والمنطقي للفلسفة؛ إذ يقوم على الفحْص والتمعّن الذّهني. فهو في تجاوزٍ مُستمرٍ لما هو يقيني وُثُوقِي في ميدان المعرفة والفِكْر. فكلّه تجديد وإبداع وانفتاح. وبهذا المفهوم، فالعلاقة بين الفلسفة واليومي علاقة تفكير دائم في أحداثه، وشكّ في مسلّماته، وثورة على أساليب تفكيره التقليدية، وتحرير لعقله المفكّر من التّبعية للأفكار الجاهزة، من أجل عقل مُنتج للأفكار لا عَبْد لها.

غدَا اليومي إذن من صميم اهتمام الفلسفة المعاصرة، بعدما أدركت أهميّته وسلطته عليها بآنيّته المتغيّرة، وقضاياه وهمومه، وانزياحات تفكيره، وتحرّرها من النظريات والمقولات والمقاربات التي جعلتها حبيسة ما هو ثابت وقارّ مدة طويلة، فَأَوْقَعَتْها في تعامل سلبي حدّ الفشل مع الرّاهن. خاصةً و أنّ الفلسفة "بقيت غائبة، وبعيدة عن مجرى الأحداث، وسجّلت غيابا وصمتا يكاد يكون كليًا، رُغم خطورة القضايا المطروحة على المجتمع الجزائري ومستقبله، إنّ هذه الحالة، حالة العَجْز على التّفكير فيما يجري، أثارت فينا أكثر من سؤال، وخاصة تلك الأسئلة المتعلّقة بقيمة الفلسفة وأهميّتها ودورها في المجتمع،..."[4]. فهذا من معوّقات التّعامل الفعّال مع الأحداث الرّاهنة. ومن ثمّ فَلِلْحُضُور الفلسفي دور مهمّ في مواكبة قضايا الرّاهن المتنوّعة والمفاجئة.

سمحت وسائل الاتّصال المعاصرة من قنوات تلفزيونية، ومواقع إلكترونية، ومنصات تواصل اجتماعية ورقميّة بالانفتاح على الواقع العالمي بكلّ تفاصيله، فنعيش أحداثه بمشاعرنا كلّها لحظة بلحظة؛ فرحًا وحزنًا، وغضبًا ورضًا، ونفكّر فيه سويًا كذلك. حتى لا نكون مجرّد مستهلكين، ونرقى إلى شَيْءٍ من التّفاعل الإيجابي معه. وهذا ما تتغيّاه الفلسفة المعاصرة، من خلال انفتاحها على أحداث الواقع المعاصرالذي دعا إليه الفلاسفة المعاصرون **"كرولان بارث، وميشال فوكو، وجيل دولوز، وجاك دريدا، وجان بودريار، وميشال مافيزولي، وفتحي التريكي..."** وغيرهم، حيث التزموا بربط الفلسفة باليومي نظرةً وتحليلًا، وتفكيرًا في حلول لقضاياه. وفي هذا السياق، يقول **'فتحي التّريكي' أنّه** "يريد أن يتناول بالبحث إشكالية علاقة الفلسفة الحالية بالواقع المعاش، ومطمحنا في كلّ ذلك هو التّأكيد على ضرورة التّفكير الملحّة في مجتمعاتنا الحالية تلك، التي هيمنت على النّظريات الإقصائية... "[5].

فالمفكّر المعاصر أمام مسؤولية مواكبة أحداث واقعه كشفًا وتحليلًا وعلاجًا لما يُطرح من قضايا، تمامًا مثلما يرى النّاقد **عبد السلام بن عبد العالي** حين يقول: "عندما تنصب الفلسفة على اليومي، وعندما تهتم بالصحافة واللّباس والرياضة والمأكل والمشرب والشّائعة والإشهار. فذلك سعْيٌ وراء الفصل بين الطّبيعة والتّاريخ والبحث عن الجديد في المستجدّات، وعن الغريب في الألفة، وعن التّاريخي في الأسطورة"[6]، والسّعْيُ إلى اكتشاف جديد الرّاهن تجاوز لرتابته الجاثمة.

ومع تشعّب ميدان الرّاهن تعدّدا وتنوّعا، تحت تأثير الثورة العلمية والتّكنولوجية المعاصرة حيث الاكتشافات العلمية والتقنية المتسارعة، والتي واكَبَتْها وسائط اتّصالية تواصليّة معلوماتية تلقف هذه المستجدّات لحظة بلحظة، عَرْضًا وتحليلًا. ولأنّ كلّ ميدان علمي محتاج إلى ضابط قيمي قانوني أخلاقي

كبْحًا للتّجاوزات الأخلاقية، فإنّ الفلسفة المعاصرة قد التزمت بذلك من خلال إنتاجها لخطاب معرفي فلسفي جديد ضابط للممارسة العلمية المتطوّرة الرّاهنة. وجهدها هذا من الآليات الجديدة التي سمحت لها بالتفاعل الإيجابي مع وقائع الرّاهن.

وهنا يحق لنا أن نتساءل مرة أخرى: هل تعكس تلك الجهود الفلسفية التنظيرية فيما يتعلّق بأخلاقيات البحث العلمي إنتاجًا فكريًا معرفيًا يُحسَبُ للمفكّر المعاصر والعربي تحديدًا؟ أم أنّها مجرّد استثمار لمقولات نظرية ولمفاهيم وتصوّرات قبلية من إنتاج فلاسفة مسلمين قدامى، أو ترجمة لنظريات غربية، لا تصلح جميعها لحلّ مُشكلات الرّاهن؟ هل يُمكن الحديث عن مثقّف عربي معاصر مُنْتِج للمعرفة وللأفكار، ممّا يسمح له بإيجاد حلول فورية وناجعة لمشاكل عصره؟ أم أنّنا أمام مثقّف مستهلك لأفكار سابقيه نقلًا وترجمةً فعَجَزَ عن التفاعل الإيجابي مع أحداث راهنه، فاستحقّ وَصْفَ المثقّف السّلبي؟ وما طبيعة العلاقة التي تجمع المثقف العربي المعاصر مع واقعه؟ فيمَ تتمثّل سلبيات المفكّر النّخبوي العربي المعاصر؟ إلامَ يُعزى فشل النّخبة العربية المعاصرة في تفاعلها مع راهنها؟ هل لهم دور في التأثير على الرّاهن أم أنّهم سجناء له؟ هل يعود ذلك إلى أداتهم المعرفية التي اعتمدوا عليها تقليدًا واجترارًا للمقولات العربية القديمة والنظريات الغربية الحديثة)، ومن ثمّة غياب إنتاج معرفي فلسفي ناجع؟ هي تساؤلات قد نجد صدى إجاباتها في ثنايا كتب، اهتمت بأمر المثقّف "المفكّر النّخبوي"، والتي منها على سبيل الذّكر لا الحصر: المثقف والسّلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر-، لمحمد الشيخ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، لمحمّد عابد الجابري، أنسنة النص - مسارات معرفية معاصرة- **لمحمد سالم سعد الله**، الخطاب الفكري في الجزائر- بين النقد والتّأسيس-، **للزواوي بغورة**، صور المثقف **لإدوار سعيد**، أوْهام النّخبة أو نقد المثقّف، **لعلي حرب**...، وهذا الأخير، الذي ستنطلق منه تساؤلاتنا حول النّخبة ودورها في علاقتها براهنها.

1-1- النخبة والرّاهن الفلسفي من خلال كتاب أوهام النّخبة: كان المثقف، ولا يزال، و-في أيّ صورة كان (شاعرا، خطيبا، فيلسوفا، رجل دين/ فقيها، عالما، أستاذا، باحثا...) شِراعَ أمّته توعيةً، توجيهًا، وقيادةً. فالشّاعر الجاهلي هو الصّوت النّاطق باسم قبيلته، في أيام الحرب والسّلم على السّواء، والأمر نفسه مع شاعر العصْرَيْن الأموي والعبّاسي، الذي تفاعل مع واقع عصره بإيجابيّة، حيث واكَبَ تعقّد حياته بأبعادها المختلفة، واجتهد في اقتراح حلول للمشاكل الاجتماعية والأخلاقية من خلال ثورته على القيم الاجتماعية والفنية، ونهجه الإصلاحي، مُنْطلقًا في سبيل ذلك من مرجعيّته الدّينية، ومكتسباته المعرفية والحياتية كالمعاني الحِكَميّة مثلًا. ويكاد ينطبق الكلام نفسه على علماء الكلام والفلاسفة الذين التزموا بالتّفكير في قضايا الواقع العبّاسي الدّينية، والفكرية والاجتماعية، انطلاقًا من مرجعياتهم أيضًا.

"أمّا إذا كان الموضوع من معطيات الواقع فإنّ التّفكير فيها يتمّ بتوسّط مفاهيمَ ونظرياتٍ وآلياتٍ في التّفكير ترتبط، ولا بدّ بمرجعيّة معرفية معيّنة"[7]. إذْ لكلّ مثقّفٍ مرجعية فكرية يستوحي منها أفكاره، ويبْنِي منها مواقفَه وآراءَه.

وتزداد مسؤولية المثقف الحديث والمعاصر تعقّدًا وشمولية، باتّساع مجال واقعه وتعدّد قضاياه وتنوّعها، وما صاحبه من موجة وَعْيٍ جماهيري، وتطوّر علمي فكري فلسفي أدبي شامل وعميق، أسهم في نُضْج العقل العربي، فمكّنه ذلك من استيعاب المقولات الفكرية، والنظريات العلمية، والمفاهيم والتصوّرات التي جادت بها قريحة العصر، فحاول استثمارها في رسالته التّنويرية. ومن ثمّة فقد انطلق

هو الآخر كسابقيه من مُفكّري الحِقَب السّابقة من مرجعيّة فكرية معيّنة، ومُوظّفًا آليات غيره ومفاهيمهم في معالجته قضايا واقعه، تشخيصًا وعِلَاجًا.

وهنا نتساءل مرّة أخرى: هل تمكّن المثقّف المفكّر العربي المعاصر من استيعاب واقعه الهُلامي والمُتحوّل باستمرار، أم أنّه فشل في رهانه هذا؟ إلامَ تعود عوامل فشله؟ أَإِلَى قِدَمِ أسلحته المفاهيمية ونظرياته التي ينطلق منها، والتي تجاوزتها أحداث واقعه؟ أم إلى عجزه عن إنتاج معرفة جديدة تتماشى مع طبيعة عصره؟، وما الرّهان الذي ينتظر المفكّر العربي المعاصر حتى يكونَ في مستوى تحديات أحداث واقعه الجديدة المتجدّدة؟ كيف يمكن للمفكّر العربي المعاصر أن يجدّد نفسه معرفيًا، حتى يتفاعل إيجابيًا مع الواقع؟ ما السّبيل إلى مشاركته الفعّالة والنّاجعة في تشكيل المشهد الفكري على الصّعيد العالمي؟

هذه التّساؤلات وغيرها، ما ستجيب عنه صفحات كتاب "نقد المثقّف" **لعلي حرب** الذي تنطلق منه تساؤلاتنا.

2.1. المثقّف العربي المعاصر ومعضلة المرجعيّة الفكرية/ الأوهام الفكرية: يعالج المفكّر علي حرب قضية المثقّف المعاصر في علاقته بواقعه من بوّابة ممارسة سلطته النّقديّة على المفكّر الذي يكاد يفقد دوره في تغيير واقعه، من خلال القدرة على تتبّع أحداثه اليومية السّريعة، كشفًا وعلاجًا، بل والمشاركة في صنع الحدث وبذلك فهو سلبي التّعامل مع واقعه، ومن ثمّ يستحق النّقد. حتى يقوّمَ، ويستعيد إيجابيّته وفاعليّته. فإلامَ أرجع الكاتب الدارس سبب هذا الفشل؟، أو ما العوائق التي تقف أمام التّعامل النّاجح للمثقّف العربي المعاصر مع أحداث واقعه؟

ينطلق الكاتب في حديثه عن وضعية النّخب الثقافية العربية المعاصرة المأزومة من حيث أفكارها، ومشاريعها، نماذجها، وصورها، مكانتها ودورها، مصداقيتها وفاعليتها. وعبر هذه المعالجة الشّاملة لقضية المثقف المعاصر يبقى السؤال القديم الجديد 'من هو المثقّف الحقيقي؟' مطروحًا، من قِبَل المُهتمّين بأهل الفكر والمعرفة.

كشفت أحداث الواقع المعاصر المتسارعة، وعَدَم قدرة المثقّف المعاصر على مسايرتها عن أزمته العميقة المتجليّة في افتقاده إلى الفعالية النّضالية الناجعة مثلًا. وهذا ما يستدعي تشخيصًا لأزمته، قَصْدَ استرجاع المثقّف لدوره التّنويري الحقيقي والفعّال. وهذا ما حاول المفكّر النّاقد 'علي حرب' التزامه في كتابه هذا، إذ يقول: "وهكذا لم يختلق الكتاب المشكلة، بقدر ما حاول تشخيص الأزمة في ضوء الوقائع المباغتة. والمقصود بالأزمة فقدان المصداقية الفكرية والفاعلية النّضالية،..."[8].

فالدّارس عارف بجَوْهر أزمة المثقّف الحقيقية. وذلك ما تؤكّده تحليلاته التي كشفت عن أسباب معاناة المثقّف المعاصر، وعجزه أمام قضايا عصره..."، بعد تصدّع النّظريات الشاملة المعتمدة في قراءة العالم، وبعد انهيار المشاريع الأيديولوجية والسياسية في ضوء التّحوّلات المتعاقبة على مسرح الواقع المتحرّك: "فالشّعارات المُتداوَلة في الخطاب الثّقافي، تحوّلت إلى أسماء على غير مُسمّياتها، أيْ تحوّلت إلى مُطلقات خاوية أو إلى مُتعاليات هشّة... "[9].

فمن أسباب أزمة المثقّف المعاصر اعتماده على مقولات ونظريات تجاوزتها الأحداث المتسارعة للواقع المعاصر. فغدت جوفاء، ودون محتوى فكري فعال. فهذه الأفكار الكبرى التي كانت عُدّةَ المثقّف في مهمّته التّنويرية الثورية قبْلًا، تحوّلت في عصره هذا إلى سلاحٍ عاجزٍ، لا يُنتج سوى ألغامه. وهنا المأزق الحقيقي والحرج في وضعية المثقّف. وهذا ما يتطلّب التزوّد بعُدّة فكرية جديدة ذات فعالية وجودة. ولكن،

كيف السّبيل إلى هذا؟، هل يتمّ ذلك عبر إعادة النّظر في العُدّة الفكرية القديمة للمثقّف مثلًا؟ وهل هي مراجعة جذرية شاملة، أم أنّها جزئية سطحية، تمسّ البعض منها دون الكلّ؟

يبدو أنّ الكاتب مع ثورة فكرية جذريّة شاملة، تمسّ قناعات ومنطلقات المثقّف في العمْق، فتغيّر مسلّماته، وتدعوه إلى ضرورة التّفكير في آليات/ أسلحة فكرية جديدة، تكون من إنتاجه هو، تُولَد من رَحِم تحديات عصره اليومية. وهو ما سمّاه بـ: 'تغيير وجهة النّقد' صَوْبَ واقع المثقّف فكْرًا وممارسة...

في هذا السياق يقول: "وكانت ثمرة النّقد صياغة الأفكار والمواقف على نحْوٍ جديد ومغاير، أو الانتهاء إلى بلورة أفكار ومفاهيمَ جديدة لقراءة الواقع وتشخيصه"[10]. خاصّة وأنّ تلك الأفكار والمفاهيم والتّصورات يكتسبها الفرد نتيجة احتكاكه بمحيطه. ذلك ما أشار إليه **محمد عابد الجابري** في قوله: "ومعروف أنّ هذه المبادئ والمفاهيم والآليات ليست فطريّة ولا غريزية، وإنما يكتسبها الإنسان نتيجة احتكاكه بمحيطه، محيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي. ومن هنا أهمية خصوصية هذا المحيط في تشكيل خصوصية الفكر" [11].

فالمجتمع كمحيط مصدر أفكار المفكّر، وآليات تفكيره. ولكن، مادام المحيط بأبعاده المختلفة في حالة تحوّل دائمٍ، فإنّ فهمه والتعامل مع قضاياه يستوجب تجديدًا فكريًا، وتنويعًا في أساليب التفكير فيه. وهذا، ما يتطلّب أيضًا مثقّفًا ذا عقلٍ مفكّرٍ، ومنتِجٍ للأفكار. فهل المثقّف العربي المعاصر في مستوى ذلك؟

مِن المَزَالِقِ التي وقع فيها المثقّف المعاصر، وجعلته عاجزًا أمام تحديات عصره اكتفاؤه بإتباع الأفكار الموروثة والمفاهيم المعهودة، وعدم إنتاج أفكارٍ أخرى، أو على الأقلّ تكييف التصوّرات القديمة، لتواكبَ راهنه المتجدّد. وهي من سهام النّقد التي وجّهت إليه من قِبَل ناقدنا: "المثقّف يشتغل بحراسة الأفكار. ومعنى الحراسة التعلّق بالفكرة كَمَا لو أنّها أقنوم يقدّس أو وثن يُعْبَدُ، على ما تعامل المثقّفون مع مقولاتهم وشعاراتهم"[12]. فوقع إثرها في عبادة الفكرة، بدل تجديدها وتطويرها. وفي ذلك مقتلها، ومقتل الإبداع لديه، ومن ثمّ عجزه، وتهميش لدوره كمثقّف فاعل.

اهتدى النّاقد **'علي حرب'** إلى أنّ مشكلة المثقّف العربي ذاتية؛ بمعنى أنّ المشكلة فيه أوّلا قبل العوامل الأخرى، طالما أنّه غيرُ مجدّد لآليات تدبّره، وتفكيره، وتغيير علاقته بالحقائق التي اكتسبها من محيطه لأنّ تغيير نفسه سيمكّنه من تغيير واقعه، ومن ثمّة التّأثير فيه. وبذلك يكون في صورة المثقّف الحقيقي والإيجابي القادر على التفاعل مع راهنه تشخيصًا وعلاجًا، فبقدر "ما ننجح في تغيير أنفسنا وواقعنا، تتغيّر أفكارنا ذاتها، ذلك أنّ ما نصبو إليه أو ما نصير إليْه يتغيّرُ بقدر ما تتغيّرُ نحن بالذات..." [13].

وهنا، يتقاطع مع الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَابِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11). فالأحداث المتغيّرة باستمرار، والواقع غير الثّابت وراءه ذات متجدّدة باستمرار، وتجتهد في إنتاج أفكار جديدة متحوّلة عن مفاهيمَ وتصوّرات كليّة سابقة.

وممّا يعزّز فكرة كون مشكلة المفكّر المعاصر ذاتية بالدّرجة الأولى، ويُؤيّد في الوقت نفسه النّقد الموجّه إليْه خضوع المثقّف للمفاهيم والنظريات المتعلّقة بعصر التّنوير، دون أن يجرؤَ على نَقْدها، تعديلًا وإثراءً، حتّى يكيّفَها وواقِعَه اليومي.

ونستحضر هنا على سبيل التّمثيل لا الحصر مقولات: العقلانية، الاستنارة، الحريّة، والدّيمقراطية...، فهو رهين لدى هذه المفاهيم الكلية المتعالية، التي أنتجها مفكّرُو عصر التنوير قبلًا، وتتطلّب تعديلًا وتطويرًا في مضامينها وقيمها، حتى تواكب روح الرّاهن. وبذلك فالمثقّف الحقيقي

والإيجابي هو الذي "يُقيم علاقةً نقديةً مع ذاته وفكره، على نَحْوٍ يتيح له أنْ يتحوَّلَ عمَّا هو عليه، بإغناء مفاهيمه عن الحرية والعقلانية والاستنارة"[14]. فلا يجب الاطمئنان إليها على أنّها مسلّماتٌ ومنطلقاتٌ، كمالا يمكنه الاستئثار بها، كسماتٍ ثقافيّة مميّزة له عن البقيّة.

يتّفق المفكّر النّاقد **'محمد عابد الجابري'** مع ناقدنا **'علي حرب'** في كون أزمة المفكّر/ المثقّف المعاصر أزمة إبداعٍ في الأساس. وتتجلّى هذه الأزمة في عدم تسجيل الخطاب العربي الحديث والمعاصر لأيّ تقدّم حقيقي في أيّة قضيّةٍ من قضاياه"...، لقد بقي هذا الخطاب، طوال هذه الفترة، وما زال إلى اليوم سجين 'بدائلَ'، يدور في حلقةٍ مفرغَةٍ...، لينتهيَ به الأمر في الأخير، لدى كلّ قضيّة، إمّا إلى إحالتها على 'المستقبل' وإمّا إلى الوقوف عندها مع الاعتراف بالوقوع في 'أزمة"[15] فاحتكامه إلى النّموذج السّابق سبب عجزه إبداعيًا.

"حيث وجدنا أنّه فكرٌ محكوم بنموذج/سلف مشدود إلى عوائق ترسّخت داخله وتتعلّق أساسًا بنوع الآلية الذّهنية المُنْتِجة له، إضافةً إلى كونه فكرًا إشكاليًا ماورائيًا يتعامل مع المُمْكنات الذّهنية كمعطياتٍ واقعيّة، ويكرّس خطاب اللّاعقل في مملكة العقل... "[16]، إذ هناك دومًا نموذج يشكّل الإطار المرجعي لكلّ مفكّرٍ، مهما اختلفت خلفيّته الفكرية (ليبيرالي، ماركسي، سلفي...).

يمثّل هذا الصّنف من المثقّفين/ المُحْتَكِم في مفاهيمه، وتفكيره إلى النّموذج السّلفي العربي أو إلى الحاضر الأوروبي مَأْزقَ التّفكير؛ لأنّه ينطلق من مفاهيمَ مُستقاةٍ من بيئآتٍ بعيدةٍ عن راهنه العربي. وحينها، يعجز حتّى عن تجديد صيغ تفكيره، أو مُراجعة الخطاب العقلاني، حتى لا نقول نقد مقولاته وخطاباته. فتنطبق عليه المقولة القائلة: "المثقّف بات أعْجزَ من أن يقومَ بتنوير الناس... "[17]، ذلك أنّ عقله أولى بالتّنوير وتفكيك خطابه، حتّى يهتديَ إلى آليات تفكيرٍ جديدة؛ تُحرّره من وَضْعِهِ المأزوم. وعلاقة الانفصام التي تربطه بواقعه العربي. هذه العلاقة التي أكّدها 'الجابري' أيضًا، حيث يقول: "من هنا انقطاع العلاقة بين الفكر العربي وموضوعه: الواقع العربي، الأمر الذي يجعل من خطابه خطاب تضمينٍ لا خطاب مضمون، إنّ مفاهيمَ النّهضة والثّورة والأصالة والمعاصرة والشورى والدّيمقراطية، والبرجوازية....، مفاهيمَ غيرَ محدّدة في الخطاب العربي... "[18].

فما دامها مفاهيم نموذجيّة مسلوبة من بيئات غير البيئة العربية الرّاهنة، ونتيجة معطيات ثقافية مختلفة، فتبقى غريبةً، ولا يمكنها أن تشكّلَ دوالَّ على معطيات واقعيّة راهنة. فتبقى عاجزة، والمثقّف المُرتبط بها عاجزٌ أيضًا.

يؤكّد النّاقد **'علي حرب'** على العامل الذّاتي في أزمة المثقّف المعاصر، وذلك من خلال مقولة: "مشكلة النّخب الثقافية في نخبويّتها بالذّات"[19]. إذ أوقعهم توجّههم نحو أوهام الانتقائية والصفوة والنّخبوية وما صاحبها من نرجسيّة وعزلة وهامشية، وشعور بالتفوّق والتميّز في فشل نضالي وعُقْمٍ فكريٍ. هذا ما حمل ناقدنا على توجيه سهام النّقد الإيجابي نحوهم، من خلال إعادة النّظر في دور المثقّف، ومفهومه، معبّرًا عن ذلك بمقولة 'نهاية المثقّف'، ومقترحًا لمفهومه الجديد للمثقف تسمية 'المثقّف الوسيط'.

ولبلوغ هذا التحوّل المفاهيمي يشترط 'تغييرَ علاقة المثقف بذاته ومهمته'. من خلال تجاوزه لدوره الطليعي النّخبوي، والتحرّر من أوهامه السّابقة، والتّفكير في إنتاج مفاهيم وتصوّراتٍ قادرةٍ على التّغيير الاجتماعي والسياسي أو الإنمائي المنشود. لأنّه ابن بيئة/ مجتمع متغيّر باستمرار، وبصورة كليّة (انفجار علمي تكنولوجي وتحوّل قيمي)، تفرض عليه التسلّح بآليات تفكير قادرة على قراءة تغيّرات واقعه، وِفْقَ رؤيةٍ تقديرية صائبة، يشارك فيها المجتمع بكلّ أطيافه ومكوّناته، بعيدًا عن النّخبوية والصّفْوية المستأثرة

والمتعالية، حينها فقط نتمكّن من مسايرة الرّاهن بفاعلية ونجاعة. مع تحرّر الذّات المفكّرة من سلطة السّلف وآليات تفكيرهم.

يحتاج الفعل النّهضوي الإنساني إلى فاعليّة جماعية تشاركيّة، تُسْهم فيها كلّ القطاعات، والمؤسّس في الوقت ذاته على الفكر الجماعي المتّقد، بعيدًا عن الرّوح الفردية، وهذا ما تدعّمه مقولات النّاقد **'محمد سالم سعد الله'**، إذ يقول: "يُحتّم التوجّه النّهضوي المعاصر علينا رسْمَ استراتيجية ناجعة للتّعامل مع العلوم الإنسانية أوّلًا بوصفها علوما تعيش اللّحظة التي تتفاعل معها، وتنتج تصوّراتٍ مهمّة لإدامة عجلة الحياة وتطويرها"[20]، فهو مع التّركيز على كلّ جوانب العطاء المعرفي، لأنّها السّبيل الموصل إلى حلّ مشكلات الرّاهن، وهي استراتيجية تتماهَى مع دعوة المفكّريْن **'الجابري وعلي حرب'**. فقضايا الرّاهن تحتاج إلى مفكّر ناقد، وبعقلية عصرية ومنفتحة، قادرة على تجديد مفاهيمها، وتنويع آليات تفكيرها.

وتأكيدًا لمقولة **'علي حرب'** الدّاعية إلى ضرورة تحرير العقل من مقولات المفكّرين السّابقين، ومفاهيمهم الجاهزة والمُتَجاوزَة في آن، يتّجه رأي المفكّر **'محمد سالم سعد الله'** إلى "تحويل الفعل المتناهي إلى آخر غير متناهٍ في تقديم الممارسات المعرفية التي تنشط العقل ولا تحجم العاطفة، تبغي الانفتاح ولا تتبنّى التّقَوْلب، تنتفع من خبرات الآخرين في نهضتهم، وتتصيّد الحكمةَ في ميادينها، ثم تبحث عن إيجاد صيغ التّوافق التي تُحيل إلى تحقيق النّاتج الحضاري للأمة، وأداءً لواجب الإنسان على هذه الأرض،.."[21]، والتي منها التفاعل مع واقعه بناءً وتشخيصًا، وعلاجًا لمشكلاته، في سياق تكاملي تعالقي بين ميادين المعرفة المختلفة، ممّا يُفضي إلى خلق مجال تداولي بَيْنِي في سبيل النّهضة الفكرية المنشودة ذات الفعالية. "بمعنى أن يؤدّي انفتاح المفكّر على المجال السياسي إلى تغيير سياسته الفكرية، وبشكل يتيح له ابتكار إمكانيات جديدة للتأمّل والتفكير، كما يؤدّي انفتاح رجل السياسة على منتجات الفِكر، إلى تغيير فكره السياسي وبصورة تتيح له اشتقاق إمكانيات جديدة للعمل والتّدبير... "[22] ممّا يُنتج واقعًا مجتمعيًا متفاعلًا، ومثمِرًا فكريًا.

يريد مفكّرنا النّاقد من المثقّف المعاصر أن يكون مفكّرًا مغامِرًا، وثائرًا على الأفكار والمقولات الجاهزة، أن يظهر في صورة الفاعل الاجتماعي والشاهد على الأحداث. مناقشًا لمفاهيمَ مثل الليبيرالية الجديدة، أو الاشتراكية. من خلال تساؤله عن فشلها في معالجة تحديات العصر كالبطالة مثلًا، بالنّسبة للاشتراكية. وازدياد الفقر والتّهميش، على الرّغم من وفرة الإنتاج وتعدّد مصادر الثّروة، وجود التعتيم والتلاعب في عصر تقنيات الاتصال، وتعدّد وسائل النّشر والإعلام، انهيار المشاريع الأيديولوجية والنظريات الشمولية عند أصحاب المشاريع النّضالية؟

فطرح هذه التساؤلات، يسمح للمثقّف أن يفهم تحوّلات واقعه، فيتجنّب عامل المفاجأة والصّدمة. كما يعرف سبب قصور تلك المقولات السياسية والاجتماعية الفكرية، انطلاقًا من شعاراتها الجوفاء والمحتالة، حتى لا نقولَ كاذبة، لأنها ذات منطلق أيديولوجي معين، وتخدم غاية توجّه فكري معيّن، باسم الحرية والعدالة والحقيقة والإنسانية...، فالمثقّف النبيه الفعّال هو الذي يعي كلّ هذا، فيدرك سبب الأزمة، ويبحث عن البديل الأفضل لمجتمعه.

يطالب ناقدنا المثقّف المعاصر بتكييف أسئلته المطروحة مع طبيعة تحديات عصره؛ فهو مضطر لتجديد أسئلته باستمرار، بل، إلى طرح أسئلة خادمة للغرض المنشود. فمواكبة أحداث راهنه مثلًا، تستدعي سؤالًا على نحو: ماذا يحدث؟ بدلَ: ما العمل؟

مثَلًا: ذلك لأنّ تحديه هو فهم واقعه بأحداثه وقضاياه المتغيّرة التي يجب على المثقّف الحقيقي المشاركة في صناعتها، ومن ثمة الوعي بمتغيّراتها. "لأنّنا إذا لم نفهم ما يحدث لن نُسْهِمَ في صناعة الحدث، ولم تعد المشكلة أن نناديَ بتغيير العالم، بل أن نعرفَ كيف يتغيَّر ويتحوّل، لأنّنا إذا لم نعرف مدى التحوّلات التي طرأت على المشهد العالمي، أو مدى التغيّرات التي أصابت المفاهيمَ والمعاييرَ، لن نتمكّنَ من المُساهمة الفعّالة في تغيير العالم"[23]. فالرّهان الحقيقي للمثقّف المعاصر فَرْضُ وُجُودِه على مسرح الأحداث الرّاهنة على سرعتها وفجائيّتها، ولا يتحقّق له ذاك إلّا عَبْرَ المُساءلة المتواصلة لمقولاته وممارساته، خاصةً وأنّه في منافسةٍ مع الفاعلين الاجتماعييّن الآخرين كرجال الإعلام على سبيل المثال.

يقترح ناقدنا **'علي حرب'** على المثقّف المعاصر المتسائل خُطّةَ تغيير شاملة وناجعة، تستند إلى ثلاثة منطلقات، وقد أسماها **بالتّغيير المثلّث**، والذي يمسّ مفهوم التّغيير ذاته، فمفهوم المثقّف، ثم شبكة المفاهيم ثالثًا. تماشيًا مع تغيّرات الرّاهن. من خلال الفحص الشّامل والآني لتلك المفاهيم المعهودة..."، لإجراء تغيير مثلّث، يطال أوّلًا مفهومنا للتّغيير ذاته..، ويطال ثانيًا صورتنا عن أنفسنا..، وأخيرًا لا مهرَبَ من إجراء فَحْصٍ نقديّ يطال شبكة المفاهيم التي يقرأ من خلالها المثقفون الأحداث... "[24].

هذا حتى يكون التّغيير المنشود مُجْديًا، من خلال التزوّد برؤية قرائية تشخيصية جديدة وفعّالة. وأن يعتبر المثقّف نفسه ناقِدًا فاحصًا لأحداث واقعه، وفي إطار كُلّي متكامل مع بقية الأطراف الأخرى الفاعلة واقعيًا كرجال الإعلام، والسياسيين، وعلماء الاجتماع، وحتّى لاعِبِي كرة القدم. وهكذا فقط، لا يقع المثقّف في فشلٍ جديد، ولا يكتشف عجزَه مرةً أخرى، لأنّه لم يتوهّمَ نفسَه في صورة النّخبة الواعية والمتقدّمة..."، هو أن لا يتصرّفُوا بوصفهم النّخبة الواعية والمتقدمة التي تتقدّم المجتمع، لكي تقدّمَ مشاريعَ للنّهوض والتّغيير، بل أن يعملوا على تغيير أنفسهم وتحويل عقولهم، لكي يلحقوا بالمجتمع الذي يسبقهم في حركته وتحوّلاته، إذا أرادوا المُساهمةَ في صُنْعِهِ وتشكيله"[25]. فالرّاهن في حاجة إلى مثقّفٍ ناقد لذاته أوّلًا، وللمفاهيم والأفكار ثانيًا، وهادِمٍ للتصوّرات الكلية المُسْبقة. من أجل شبكة جديدة من المفاهيم، وعُدّة فكرية مناسبة وناجعة.

يتغيًّا علي حرب من نقده للمثقّف المعاصر استعادته لسلطته في ممارسة فاعليّته الفكرية، من خلال إعادة صوغه لمفهوم سلطة المثقّف، أو إعادة ابتكاره لدوره الحالي المناسب لراهنه. وهنا نتساءل مرة أخرى عن مفهوم سلطة المثقف عنده، ومفهوم المثقف الذي انطلق منه في حديثه عن المثقفين المعاصرين ودورهم؟.

تختصر مقولة ناقدنا **علي حرب**: "على المثقّف أن يمارس سلطته"[26]، مفهوم المثقّف المعاصر ونقده في آن، إذ هو ذلك المفكّر الممارس لمهنة التّفكير الدائم، عبر صوغه للأفكار والمفاهيم الجديدة، وفي ضوء متغيّرات الرّاهن ومتطلّباته. فمفهومه يتجاوز معنى الإدانة والمُحاسبة إلى معنى الفاعلية الفكرية المجتمعية. طالما أنّ الغاية هي اكتساب المثقف المعاصر لمصداقيته الفكرية النّضالية. من خلال أفكاره الخِصْبة والحية المؤثّرة في الجميع، حتى المعارضين لها، لأنّها قادرة على فتح حقل تساؤُلي، وخلق مجال للتّداول، ومناخٍ مساعدٍ على التّفكير. وهذا من سِمات المفكّرين المُنْتِجِين والمُبْدِعِين في ميادين عملهم واختصاصهم، بل، ويُسْهِمون في صُنْعِ العالم بأفكارهم تلك ومفاهيمهم العابرة للتخصّصات والبيئات الثقافية. إذ "المفكّر هو عالمي بالتّحديد، لأنّ الأفكار الخلّاقة والمفاهيمَ الخارقة لا جنسيةَ لها، وهو يُسْهِم في تغيير الواقع عبْر وقائعية أفكاره بالذّات، إذ الأفكار ليست سوى علاقاتنا بالواقع والحقيقة"[27]، فالتّفكير في أحداث الواقع يولّدُ أفكارًا واقعية ذات تأثير وفاعلية.

لم تكن علاقة المثقّف العربي المعاصر بالمشروع الثقافي العربي قائمةً على الإنتاج والإبداع، وإنّما هي مجرد ترويج له، ودفاع عن أفكاره. وهنا، حُقّ لنا التساؤل بمعيّة **'علي حرب'** عن مدى فاعلية تلك العلاقة من عدمها؟

إنّ افتقاد تلك العلاقة إلى جهد تنويري حقيقي؛ قائم على النّقد المستمرّ للمفاهيم والتصورات، يجعلها هشّة، ومُفتقِدة للفاعلية، وحظّ المفكّر فيها إتباع الأفكار القديمة، وتأليه المفاهيم السّابقة، بعيدًا عن مسعى الابتكار والتحديث المفاهيمي، تماشيًا مع جهود الفلاسفة المعاصِرين، حيث كلّ محاولة فلسفية فذّة، تؤدّي إلى تغيير خارطة المفاهيم العاملة على ساحة الفلسفة وملعب الفكر"[28]. فالجهد الفلسفي الفكري، بحث مستمرّ، وشكّ دائم في المفاهيمَ والأفكار.

يريد المفكّر النّاقد المتميّز **'علي حرب'** من المثقّف العربي المعاصر أن يكون في صورة المفكّر الغربي ذي الفعالية الإيجابية والمُثمرة مع راهنه. فينظر إلى أفكاره ومفاهيمه/ معارفه بعين ناقدة، وأن يجعل من عقله مختبرًا فكريا لها؛ فيخضعها للفَحْصِ والتجريب، من أجل تحويلها إلى فِكْرٍ خِصْبٍ ومفاهيمَ خارقة.

ولقد قادتنا محاولتُنَا البحثية هذه إلى النتائج الآتية:

- يمثّل الرّاهن موضوعًا مركزيًا في الدّرس الفلسفي المعاصر. إذ تخوض في ماهيّته وقضاياه المختلفة، التي تتطلب تشخيصًا ومعالجة.
- كغيره من المصطلحات، يستعصي **'الرّاهن'** على التحديد المفهومي، والضّبط المصطلحي. حيث يُعبَّر عنه بالرّاهن واليومي والآني، في الجهود الفكرية الغربية والعربية المعاصرة على السّواء.
- تستدعي قضايا الراهن تضافر جهود ميادينَ معرفية مختلفة، حتّى تتمكّن من استيعابه كشفًا، وفهمًا، وتشخيصًا، وعلاجًا. بَدْءًا بالفلسفة، فعلم الاجتماع، والسياسة، والإعلام، والأدب....
- تفرض قضايا الرّاهن المتجدّدة والمُفَاجِئَة تجديدًا مفهوميًا، وعُدّة فكرية جديدة، وَجَب على المثقّف المعاصر التسلّح بها، حتى يتمكّنَ من التّفاعل معه بفاعلية.
- يُعْزَى عَجزُ المثقّف العربي المعاصر في نظر **'علي حرب'** إلى جملة أوهامٍ، اختلفت بين نزوعه النّخبوي النّرجسي، والتّبعية إلى المفاهيم والمقولات القديمة، وعدم تجديده لآلياته الفكريَة.
- تجاوزَ المفكّر **'علي حرب'** في نقده للمثقف معنى الإدانة والمحاسبة إلى معنى التّفكير الفعّال والمُنْتِج. من خلال مطالبة المفكّر المعاصر بضرورة تجديد مفاهيمه، وآليات تفكيره.
- تتقاطع نظرة المفكّر المتميّز **'علي حرب'** إلى المثقّف المعاصر مع موقف المفكّرين المعاصرين كمحمّد عابد الجابري مثلًا. خاصةً ما تعلّق بمفهوم المثقّف ودوره التّنويري.

قائمة المصادر والمراجع:

- زواوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتّأسيس، دار القصبة للنّشر، الجزائر، د.ط، 2003.
- عبد السلام بن عبد العالي، أُسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.
- فاطمة جرماني، محاضرة مقياس الفلسفة واليومي، سنة ثالثة، تخصص: فلسفة عامّة، قسم العلوم الاجتماعية، المركز الجامعي.
- فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسّطية للنّشر، تونس، ط1، 2009.
- محمد الشّيخ، المثقّف والسّلطة- دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر-، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2000.

- محمد سالم سعد الله، أنسنة النص-مسارات معرفية معاصرة-، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
- محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2005.

الهوامش:

(1) فاطمة جرماني، محاضرة مقياس الفلسفة واليومي، سنة ثالثة، تخصص: فلسفة عامّة، قسم العلوم الاجتماعية، المركز الجامعي: البيض، ص 12.
(2) فاطمة جرماني، محاضرة مقياس الفلسفة واليومي: المطبوعة نفسها، ص 3. 5.
(3) فاطمة جرماني، محاضرة مقياس الفلسفة واليومي: المرجع السّابق، ص 01.
(4) الزواوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتّأسيس، دار القصبة للنّشر، الجزائر، د.ط، 2003م، ص 169.
(5) فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسّطية للنّشر، تونس، ط1، 2009م، ص08.
(6) عبد السلام بن عبد العالي، أُسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص15.
(7) محمد الشّيخ، المثقّف والسّلطة- دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر-، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص7
(8) علي حرب، أوهام النخبة، ص 10.
(9) محمد الشّيخ، المثقّف والسّلطة- دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر : المصدر السابق، ص10.
(10) محمد الشّيخ، المثقّف والسّلطة- دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر : المصدر نفسه، ص 11.
(11) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2005م، ص 51.
(12) علي حرب، أوهام النخبة، ص 11
(13) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر نفسه، ص11. 12.
(14) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر السابق، ص 14.
(15) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر: المرجع السابق، ص 55.
(16) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر: المرجع السابق، ص 55- 56.
(17) علي حرب، أوهام النّخبة، ص 13.
(18) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ص 56.
(19) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر السابق، ص 14.
(20) محمد سالم سعد الله، أنسنة النص-مسارات معرفية معاصرة-، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 66.
(21) محمد سالم سعد الله، أنسنة النص-مسارات معرفية معاصرة-: المرجع نفسه، ص 67.
(22) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر السابق، ص 16.
(23) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر السّابق، ص 20.
(24) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر نفسه، ص 20.
(25) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر نفسه، ص20- 21.
(26) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر نفسه، ص 22.
(27) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر السابق، ص 32.
(28) علي حرب، أوهام النخبة: المصدر نفسه، ص 79.